

-٤-

اكتشاف حياة جديدة

لم يحضر في ذهني -وأنا أوصل معركتي الأساسية ضد ما زاد عن الطبيعي من وزني- شيء كما حضرت مقولة لجبران خليل جبران، وبخاصة وأنا أستمتع بالراحة من الثقل شيئاً فشيئاً.

يقول جبران: "إن ما نتوق إليه، ونعجز عن الحصول عليه، أحب إلى قلوبنا مما قد حصلنا عليه". غير أنني أعلم أنني أتوق إلى الرشاقة وسأحصل عليها ذات يوم، رضي من رضي، وكره من كره، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فما بعنا بالكوم إلا اليوم!

لقد اعتبرتها بالنسبة لي -كما اعتبر العرب السلام- خياراً استراتيجياً، إلا أن الفارق أنني والرشاقة على وفاق يزداد يوماً بعد آخر، فيما العرب والسلام وطرف المفاوضات الآخر كالنار والبارود.

إن السمين حينما يشرع في فقدان شيء من تراكم اللحم عليه يستمتع بأمور قد تبدو للآخرين تافهة، لكنها بالنسبة إليه مهمة ورئيسة، وهكذا كل الأشياء الصغيرة التي لا يستطيع شخص أن يحصل عليها، تكون لديه كبيرة حتى يحوزها فتصغر في عينه. إننا بذلك نمارس سلوكاً

طفولياً دون أن ننتبه إليه، وننظر بانتقاد إلى الصغار عندما يكون بغية الحصول على لعبة لا تلبث في يد أحدهم ثوانٍ حتى يلقيها أرضاً.

رجل على رجل!

لقد بات وضع رجلي على الأخرى عند الجلوس إنجازاً أهم من تسلق جبال الهمالايا بالنسبة لرياضي أفنى عمره للوصول إلى هذه الغاية. أصبحت هذه العادة أهم عندي من فكرة الجلوس ذاتها. وما أكثر ما نجعل الوسيلة أهم من الغاية!

وأقرأ اليوم إحصائيات السمنة وأضرارها بمتعة تضاهي استمتاعي سابقاً بتحويل (سطل) ضخمة من (آيس كريم الشوكولاته) كامل الدسم إلى ورق فارغ.

سمين... لكن خفيف دم!

وكنت في السابق أُعرض عن كل ما يقع على مرمى ناظري من معلومات تشير إلى ضرر البدانة. وعندما تطراً في ذهني خطورة السمنة أطردها باستحضاري أنني قادر على الحركة ولو لم أَلعب كرة القدم، وأنهى الحوار في

داخلي بجملته أثيرة أخاطب بها نفسي: "عاد بالله ودك (هل ترغب) لو كنت نحياً، لكن دمك ثقيل؟".

إنها محاولة الانتصار بما لديك لتعويض ما تفتقده ولا تستطيع، أو لا ترغب في الحصول عليه.

وأذكر الآن أن ما اشتهر عن البدناء من خفة دم كانت مخرجاً للكثيرين من الحرج عندما يتحدثون عن السمان، فما أكثر ما قيل لي: يا أخي أنت سمين بشكل!

وقبل أن أفغر فمي تعجباً من عبارة وقحة ترد بلا مناسبة، وتقال بلا إحم ولا دستور، يتدارك محدثي الوضع فيسكب ماءً على نار أوشك على إيقادها بقوله: "بس (ولكن) دمك خفيف". ومع أن منطق الجملة بكفتيها يبدو متناقضاً لكل ذي لب، خلافاً لافتقاره لمقومات الأدب والذوق، إلا أنني أعرض عن التفاصيل إيماناً ب(إن الحسنات يذهبن السيئات).

وكنْتُ قد قرأتُ في يناير (كانون الثاني) من العام ٢٠٠٤ أن دراسة أميركية أكدت أن أمراض السمنة تكلف الولايات المتحدة ما يقارب ٧٥ مليار دولار في العام الواحد، وبخاصة وأن ثلث الأميركيين مصابون بالسمنة

المفرطة، وثلاثهم الثاني مصاب بها دون أن تفرط، ما يعني أن الثلثين معرضون أكثر من غيرهم للإصابة بأمراض القلب والسكري والأمراض المزمنة.

نقلتُ المعلومة إلى صديق ما زال يصنف سميناً، فاستفزع بالتراث للتعليق على الخبر، وكثيراً ما نجد في التراث ملجأً لما نشتهيهِ... قال صديقي:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد!

قد يموت النحيف دهساً!

كنا، أنا السمين السابق، وصديقي السمين الحالي، نجلس في مقهى، فأشار صاحبي بعد بيت الشعر إلى نحيف يجلس في طاولة مجاورة، وقال: قد يخرج صاحبنا، إلى الشارع فيموت مدهوساً في حادث سيارة، دون أن يحتاج الموت ليغشاه أن يكون سميناً!

تذكرت عندما استمعت إلى صديقي السمين باقي خبر الدراسة إذ إن منظمة الصحة العالمية إثر معلومات الدراسة الأنفة التي أشارت إلى أن السمنة تضغط بقوة

على النظام الصحي في العالم، تقدمت بطلب لمعالجة المشكلة إلا أن الطلب واجهته معارضة شديدة من الولايات المتحدة.

كانت الخطة تطالب بالضغط على الشركات المصنعة للمواد الغذائية، لتقليل من كميات السكر والدهون في منتجاتها إلا أن تلك الخطة واجهت معارضة شديدة من الولايات المتحدة، لأنها لا تعتقد أن هذه المنتجات هي السبب في انتشار السمنة في العالم.

ويعتقد الباحثون أن واشنطن تدافع عن مصالح الشركات الأميركية المصنعة للمواد الغذائية وليس عن الذين يعانون من أضرار السمنة.

